(الفصل السادس)

"المواجهة"

صمت كلٌ من ناردين ونور الدين وهما مذهولان تمامًا، ثم نطقا في نفس اللحظة **"مستحيل! ما الذي أتى بكَ/ بكِ إلى هنا؟"**.

ثم عادا للصمت مرة أخرى، وقبل أن يتحدث أي منهما، أشارت ناردين بيدها لنور الدين بإشارة مفادها تكلم أنت؛ فرد في غضب قائلًا:

- **غير معقول! لقد قتلتيني من الفزع، ما هذا؟ وكيف أتيتِ إلى هنا؟ وكيف سمحوا لكِ أساسًا بالحضور إلى هنا؟ فهذا المكان للرجال فقط.**

ثم تابع متأففًا:

- **استغفر الله العظيم، ما هذا البلاء يا ربي؟**

فاستفزتها كلماته السخيفة تلك، ثم ردت هي الأخرى بمنتهى العصبية والحدة قائلةً:

- **ما شأنكَ أنتَ؟ كيف أتيتُ؟ وماذا أفعل؟**

من أنتَ حتى تسألني وتحاسبني؟ فلتلزم حدودك من فضلك، ثم أنكَ أنتَ الذي أفزعتني، وفي الحقيقة فلقد انزعجتُ جدًّا من وجودك. هل تعلم؟ كنتُ أفضل أن تكونَ شبحًا حقًّا.

ثم تمتمت:

- **أوف! شخصٌ لا يطاق، ما هذا؟**

نظر اليها نور الدين وهي منكمشة في طرف الفراش، وكانت ما زالت تجلس على وضعها عندما كانت خائفة، ثم ضحك فجأة بهستيريا على منظرها وهي جالسة هكذا، فزاد ذلك من استفزازها، نظرت إليه بنظرة نارية في غضب ثم صرخت عليه قائلةً:

- **اخرج من غرفتي، هيا اخرج، اخرج.**

ثم نهضت وأخذت مفتاح الباب الذي يفصل بين الغرفتين؛ فدفعت نور الدين باتجاه غرفته، وأغلقت الباب خلفه بالمفتاح، ثم عادت إلى فراشها، وهي فى حالة تعجب كاملة مما حدث؛ فقالت محدثة نفسها **"والله أمر عجيب، هل يمكن أن يحدث شيء كهذا؟ ما هذه التصادفات العجيبة؟ حقًّا لا أصدق ما يحدث لي هنا منذ اليوم الأول، عجبًا! هل يوجد إنسان بهذا الكم من الفظاظة والغلظة."**، ثم تابعت **"كم أنتِ حمقاء وتتساءلين أيضًا؟! بالطبع يوجد، بل جميعهم هكذا، أنسيتي ما عانيتي منه في الماضى؟ إنك**

لحمقاء حقًّا."، ثم ابتسمت قائلةً **"على أي حال حمدًا لله، فلم أعد وحدي هنا، كم كنتُ فى شدة الفزع، ولكن هو وشأنه وأنا وشأني؛ فلا علاقة لي بهذا الفظ."**، ثم نامت من شدة الإرهاق والتعب.

خرج "نور الدين" من غرفة ناردين وهو يضحك قائلًا **"حقًّا، إنها لمعجزة، أمر في غاية التعجب، لقد مت من الرعب هذه الليلة، لقد كنت أتمنى وجود أحد غيري هنا؛ حتى لا أكون بمفردي في هذه الصحراء، ولكني لم أكن أريد تلك المتعجرفة، على أي حال، لا علاقة لي بها، فلتهتم بنفسها ولتبتعد عني، هي لشأنها وأنا لشأني."**، ثم ابتسم وألقى بنفسه على فراشه وراح فى نوم عميق.

في الصباح، في تمام الساعة السابعة، استيقظ نور الدين، ونهض ليبدأ أول يوم له في ممارسة عمله، فاليوم سيأتي العمال إلى الأرض لبدء العمل؛ فتجهز وخرج مسرعًا.

في المقابل استيقظت ناردين، ولكن في الساعة السادسة صباحًا، خرجت تتريض قليلًا، فهي تحب رياضة الركض، فدارت حول المكان، وفي أثناء عودتها إلى غرفتها؛ لتبدل ثيابها، وتستعد هي الأخرى للعمل في أرضها كان نور الدين خارجًا من غرفته في نفس اللحظة فاصطدمت به، ثم صرخت عليه بغضب قائلةً:

- **انتبه، ألا ترى أمامك؟ أعمى.**

فدفعها بعيدًا عنه ثم رد في غضب مماثل:

- **بل انتبهي أنتِ، انتبهي على خطواتك، وعلى كلماتك أيضًا، مفهوم؟ ثم أن السكن واسعًا وبه العديد من الغرف، اطلبي تغيير غرفتك في القسم الثاني من السكن؛ حتى لا أصطدم بكِ وأستريح من رؤيتكِ في كل لحظة.**

ثم تركها وغادر.

أما ناردين فقد استشاطت غيظًا ثم بسخرية قالت:

- **من تظن نفسكَ يا ترى حتى تعطيني أوامر وتملي عليَّ تحركاتي؟ مؤكد أنكَ مختل، فليكن بعلمك، أنا لن أغادر غرفتى، ولن أنتقل إلى أى مكان، هل فهمت؟ فلتذهب أنت، وتنتقل إلى أي جحيم تريد لتريح نفسكَ وتريحني من رؤية طلعتك البهية هذه.**

فالتفت ولم يعلق على كلماتها، اكتفى بنظرة استهزاء ثم تابع طريقه إلى الأرض، أما ناردين فلقد دخلت إلى غرفتها وهي تتمتم فى غضب:

- **مختل، هذا الشخص مختل فعليًا.**

ثم بدلت ثيابها وذهبت؛ لتبدأ اولى خطوات حلمها، إلى الأرض.

كانت من جملة الصدف التى أعدها القدر لهذين الشخصين، أن مشروع كلاهما ملاصقًا لمشروع الآخر، أى أن الخمسة أفدنة الخاصة بنور الدين بجوار الخمسة أفدنة الخاصة بناردين، يفصل بينهما سور من الخشب.

عندما وصلت ناردين لتتسلم أرضها على أرض الواقع شاهدت نور الدين، يتعرف إلى العمال الذين سيعملون في أرضه، وهم جميعًا مزارعون من أبناء الواحات، كان يوزع عليهم المهام وهو فى منتهى السعادة؛ فنظرت إليه من على بعد أمتار قليلة وهو يبتسم ويمازح العمال، وقد كست ملامحه الجذابة ابتسامة صافية أضاءت وجهه الأبيض، وكأن الشمس قد أشرقت على وجهه فمنحته نورها ليعكس ضوءه على كل ما انتهى إليه طرفه، كانت السماء الصافية قد سكنت عينيه الزرقاوين؛ فزادتهما صفاءً وبريقًا، نظرت إليه هكذا للحظات، ولكنه لم ينتبه إليها قط؛ فلقد كان مشغولًا بحلمه، سعيدًا بأنه سوف يبدأ أولى خطوات تحقيق أمله، ثم انتبهت إلى نفسها قائلةً: فى دهشة **"لا، ليس إلى هذا الحد، فغير معقول هذا الذي يحدث، هل أنا أحلم يا ترى؟ هل ما أراه خيالًا؟ فمستحيل أن يكون هذا واقعًا أبدًا."**.

فى هذه الأثناء ناداها صوت أحد العمال فانتبهت وهو يقول:

- **يا بشمهندسة، ألن نبدأ العمل؟ وما هى تعليماتك حتى ينفذها العمال؟**

- حسنًا، بالطبع سوف نبدأ أن شاء الله العمل، ولكن دعنا أولًا نتعرف إلى بعضنا بعضًا.

فابتسم العامل ثم قال:

- **حسنًا كما تشائين.**

ثم أشار إلى زملائه العمال وعرفها إليهم واحدًا تلو الآخر بالاسم حتى انتهى إلى نفسه، ثم قال:

- **وأنا رئيس العمال واسمى الريس صالح، وكلنا هنا من أهل الواحات، وقد فرحنا كثيرًا بمجيئكم؛ لأنكم قد قدمتم لنا فرص عمل جديدة، فهذا المشروع ساهم في تشغيل عمالة كثيرة منا.**

فابتسمت ناردين ثم قالت:

- **تشرفنا، وأنا المهندسة ناردين.**

وعندما رأت علامات الاندهاش على وجوه العمال؛ لأنهم لم يفهموا معنى اسمها ضحكت قائلة:

- **اسمي صعب قليلًا، ولكن يمكنكم مناداتى بالمهندسة.**

فضحك العمال ثم قالوا:

- **حسنًا.**

فقالت:

- **إذن، هيا بنا لنبدأ العمل.**

وبدأت في توزيع المهام على عمالها، فى هذه الأثناء التفت نور الدين إلى يساره، فشاهد العمال في أرض ناردين يعملون وكانت هى بينهم وهم حولها؛ فلم يستطيع نور الدين أن يراها، ثم التفت إلى رئيس عماله الريس حمدون قائلًا:

- **من هؤلاء يا ريس حمدون؟ هل أتى زميل جديد اليوم يا ترى؟ إذا كان الأمر كذلك، يجب عليَّ تهنئته والتعرف إليه في الحال.**

فأجابه الريس حمدون قائلًا:

- **لا أدري يا بشمهندس، دعني أذهب وأتحقق من الأمر وآتيك بالخبر.**

وقبل أن يجيبه نور الدين بحسنًا، توقف عن الكلام ثم علق متعجبًا:

- **لا داعي يا ريس حمدون، أبقى مكانكَ.**

ثم صمت فى دهشة؛ فلقد رأى ناردين وهي تشير بيديها لعمالها؛ لكي توضح لهم ما تريد فعله في الأرض، فوقف صامتًا للحظات وهو يتابعها من على بعد تلك الأمتار القليلة التى تفصل أرضه عن أرضها.

رآها وهي تتحرك في خفة ونشاط، وقد لونت أشعة الشمس الذهبية بشرتها الخمرية باللون الوردي الجميل، رأى عينيها العسليتين اللتين ازداد بريقهما

من شدة السعادة، كما أنه قد جذب انتباهه ذلك الوشاح التي ترتديه على رأسها، كم كانت ألوانه رائعة، مبهجة مفعمة بالحيوية! كأنها قوس قزح الساحر؛ فزادها جمالًا، وقد عكس ألوانه المبهجة على وجهها الجميل؛ فزادها إشراقًا وروعة.

انتبه نور الدين عندما رآها تلتفت بشكل مفاجئ لتقع عيناها في عمق عينيه؛ فهرب بنظره إلى الاتجاه المعاكس على الفور وهو يقول محدثًا نفسه بصوت خافت **"مستحيل أن يكون هذا واقع أبدًا، لا بد أننى أتوهم ذلك، مستحيل، مستحيل."**.

ثم التفت على صوت يحدثه بنبرة تحدٍ قائلًا **"هذه أرضي، ومن الغد سوف أقوم بتقديم طلب لبناء جدار بين أرضي وبين أرضك؛ فمستحيل أن أتحملك طوال اليوم وبالليل أيضًا."**.

وكان هذا الصوت هو ناردين؛ فلقد اقتربت من السور الخشبي الفاصل بين أرضها وأرضه عندما شاهدته ينظر إليها ثم تجاهلها؛ فنظر اليها نور الدين في تعجب، وبصوت ساخر رد قائلًا:

- **خيرًا تفعلي، ففي الواقع تكونين قد قدمتي إلى خدمة العمر؛ لأننى فى الحقيقة وبدون مجاملة لا أطيق رؤية وجهك أو سماع صوتك، لم أكن سعيدًا قط بمجاورتك لي هذه هيا، هيا، آه، وإذا احتجتي لتوقيعي**

على طلب بناء هذا الجدار سيكون هذا من دواعي سروري أن أوقع لإنهاء هذا الأمر، وحجب طلعتك البهية تلك عني.

فغضبت ناردين من كلماته الساخرة المستفزة تلك ثم قالت:

- **عديم الذوق والتربية، وقح، حقير.**

وتركته وغادرت، فرد نور الدين قائلًا:

- **بل أنتِ المتعجرفة، مغرورة، سخيفة.**

وقف العمال من الجانبين يشاهدون هذا السيل المتبادل من الشتائم وهم في تعجب من الأمر، ثم أشار كلٌ من الريس صالح والريس حمدون إلى عمالهم بأن يعود كل فرد لعمله تاركين ما ليس لهم به شأن.

مضى اليوم الأول، وفي المساء ماذا حدث؟